وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

الهدايات القرآنية في الحوارات الأسرية في القصص القرآني

اسم الباحث/ـة

د/ أحمد عبد القادر حسن قطناني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، **أما بعد:**

فإن القرآن الكريم، كتاب هداية وقيم، ومنهج إلهي رباني يعلم الناس على اختلاف أجناسهم ومشاربهم وعقائدهم طرق التواصل والتعايش؛ من أجل بناء علاقات إنسانية سليمة وسوية، تقوم على السلام بين الأفراد والشعوب، وتعلي من شأن الأخلاق والقيم في النفوس.

وإن من أهم الوسائل التي من شأنها تحقيق ذلك: الحوار؛ فإذا كان الله عز شأنه حاور ملائكته في شأن أول مخلوق أرضي –وهو آدم عليه السلام– فهذا دليل على أن الحوار ليس منهجا طارئا مؤقتا محدودا بأشخاص أو أزمنة أو أمكنة، بل هو منهج مهم وضروري، نشأ مع بداية الخلق، ويجب أن يستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، في جميع الأوقات والأماكن، ومع جميع من خلق الله في هذه الحياة.

وقد امتلأ القرآن بالنماذج الحوارية في مجالات شتى، وأكد على ضرورة الحوار في مجال الأسرة الواحدة، وضرب على ذلك أمثلة عديدة، بين الآباء والأبناء والأزواج والإخوة، كل ذلك من أجل أن يؤكد على جعل الحوار منهجاً أصيلاً ومرتكزاً أساسياً في الأسرة والعائلة،لا يمكن تجاهله ولا يجوز التغافل عنه.

والبحث هنا بعد أن يقرر ذلك المبدأ والمنهج القرآني، يحاول الباحث أن يستنبط هدايات القرآن الحكيم من خلال دراسة الحوارات الأسرية التي قدمها القرآن كنماذج لنتعلم منها، ونستقي العبر والدروس والعظات،

فهي أعظمُ الهدايات وأقومُها وأوضحُها؛ فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس علمًا وعملًا.

أهداف البحث:

للبحث أهداف مهمة عديدة، منها:

١- بيان معاني الهدايات القرآنية وإبراز أهميتها خاصة في مجال الأسرة.

٢- إبراز أهمية الحوار في الأسرة من خلال ما ذكره قصص القرآن الكريم.

٣- تقديم نماذج قرآنية من أجل الاقتداء بها في التطبيق السليم للحوار والتخلق بالهدايات القرآنية.

منهج البحث:

اعتمد البحث في دراسته على المنهج الاستقرائي التحليلي، بحيث قام الباحث بجمع المواضع التي تحدثت عن حوار دار بين طرفين أو فردين في الأسرة الواحدة في القرآن الكريم (الزوج مع زوجته، الآباء والأبناء)، ثم قام بدراستها، والتفكر فيها، والتدبر في معانيها ومراميها ومقاصدها، واستنباط الهدايات القرآنية الواردة فيها، ولم يذكر الباحث هنا سوى بعض النماذج وذلك لما تقتضيه ضرورة الأوراق االبحثية في المؤتمرات العلمية، وفي الإشارة ما يغني عن العبارة.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث وخاتمة،

وفيما يلي بيان المباحث:

المبحث الأول: الهدايات القرآنية الواردة في حوار نوح عليه السلام مع ابنه.

المبحث الثاني: الهدايات القرآنية الواردة في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه.

المبحث الثالث: الهدايات القرآنية الواردة في حوار إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام.

المبحث الرابع: الهدايات القرآنية الواردة في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه رضي الله عنهن.

المبحث الخامس: الهدايات القرآنية الواردة في حوار ابنة الرجل الصالح مع أبيها.

ثم خاتمة وفيها النتائج والتوصيات.

تمهيد:

قبل أن نلج إلى مباحث الدراسة، يحسن أن نقدم تعريفاً موجزاً مختصراً لمفردات العنوان، وهما الهدايات القرآنية والحوارات الأسرية.

أولاً: مفهوم الهدايات القرآنية:

الهداية لغة: الإرشاد والدلالة والبيان(١).

والهدايات القرآنية اصطلاحاً: هي الدلالات المبينة لما تضمنه القرآن الكريم من علوم وإرشادات تبين الحق من الباطل، وتوصل لكل خير، وتمنع من كل شر(٢).

فالهدايات القرآنية هي الدلالات المبينة لما تضمنه القرآن الكريم من العلم النافع، والعمل الصالح، منطوقًا ومفهومًا من خلال آياته وموضوعاته وسوره، مما هو ظاهر أو مما يستنبط منه بعد التدبر والتأمل(٣).

والهدايات على أنواع: الأولى: هداية الفطرة والإلهام، **والثانية:** هداية البيان والدلالة والإرشاد، **والثالثة:** هداية التوفيق والتأييد، **والرابعة:** الهداية في الآخرة(٤).

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٦\٢٥٣٣) وتاج العروس للزبيدي (٤٠\٢٤٨).

(٢) الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لطه عابدين وياسين قاري وفخر الدين الزبير (١\٤٤)

(٣) تقريب الهدايات القرآنية لمحمد بن علي بن جميل المطري (ص٢).

ثانياً: مفهوم الحوارات الأسرية:

قال ابن منظور:" وَهُمْ يَتَحاوَرُون أَي يَتَرَاجَعُونَ الْكَلَامَ. والمحاوَرَةُ: مُرَاجَعَةُ الْمَنْطِقِ وَالْكَلَامِ فِي الْمُخَاطَبَةِ".[1]

من خلال المعنى اللغوي يتضح أن الحوار في الاصطلاح هو تبادل الحديث بين طرفين أو أكثر، بهدف الوصول إلى مفاهيم مشتركة أو تقليل المشكلات ما أمكن.

والمقصود بالحوارات الأسرية: هو الحوار الذي يدور ضمن دائرة الأسرة الواحدة، بين الزوج وزوجته، أو الأب وأبنائه، أو الإخوة مع بعضهم بعضاً.

---

[٤] الهدايات القرآنية أنموذج تطبيقي على الآيتين (١٩٠-١٩١) من سورة آل عمران، لنجيب محمد محب الدرب. (ص٥٠٤)

[1]لسان العرب لابن منظور: (٤/٢١٨)

المبحث الأول: الهدايات القرآنية الواردة في حوار نوح عليه السلام مع ابنه

﴿ وَهِيَ تَجري بِهِم في مَوجٍ كَالجِبالِ وَنادى نوحٌ ابنَهُ وَكانَ في مَعزِلٍ يا بُنَيَّ اركَب مَعَنا وَلا تَكُن مَعَ الكافِرينَ قالَ سَآوي إِلى جَبَلٍ يَعصِمُني مِنَ الماءِ قالَ لا عاصِمَ اليَومَ مِن أَمرِ اللَّهِ إِلّا مَن رَحِمَ وَحالَ بَينَهُمَا المَوجُ فَكانَ مِنَ المُغرَقينَ ﴾ هود: ٤٢ – ٤٣.

هذا الحوار الأسري القرآني بين أب وابنه، يظهره القرآن وهو في اللحظات الأخيرة من حياة الابن، وهذا له مغزى مهم، وهو إظهار قيمة حرص الأب على نجاة الابن، فالحرص أشد ما يكون عندما يتيقن الأب بقرب هلاك ابنه ومفارقته للحياة، وحرص الآباء على نجاة أبنائهم من الأمور الفطرية في نفوس الآباء سواء كانوا أنبياء أو غيرهم، وهذه إحدى الهدايات القرآنية التي يبينها هذا الحوار. يقول أبو زهرة: "وهنا تحركت عاطفة الأبوة الفطرية في نفس نوح، والفطرة السليمة تتحرك فيها العواطف الإنسانية، فنادى على ابنه خشية الغرق، وقد عزل نفسه عن أبيه الداعي إلى الحق "[1].

وهذا الحرص يظهر قيمة المحبة في نفوس الآباء تجاه أبنائهم، ولكن هذه المحبة ينبغي أن تكون أول ما تكون في الالتزام بالدين والإيمان، والحرص على نجاة ابنه في الآخرة كما فعل نوح عليه السلام عندما قال يا بني اركب معنا، وهذه إحدى الهدايات القرآنية المهمة وهي تقديم محبة النجاة في الآخرة وإبراز أهميتها.

وتظهر الآيات هداية قرآنية مهمة جدا خاصة للدعاة إلى الله وينبغي أن يكون كل أب داعية وقدوة لأبنائه، فنوح عليه السلام لم يترك الدعوة حتى

[1] – زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة: (٧/٣٧١١).

الرمق الأخير، وهكذا يجب أن يكون الدعاة لا يفقدون الأمل والتفاؤل بإيمان الناس مهما كانت الصعوبات، فهذه هداية لكل أب أن لا يفقد الأمل في صلاح ابنه، وأن يعمل ما بوسعه حتى آخر لحظة، ويكل أمره إلى الله .

كما تتجلى في هذه الآيات هداية قرآنية ذات قيمة عظيمة في هذه الحياة، وهي قيمة الحرية، وتتمثل هنا في حرية اختيار الدين، وحرية العقيدة، فالأب رغم ما له من سلطة على أبنائه –وهنا اجتمعت اثنتان: سلطة الأبوة، وسلطة النبوة– إلا أنه لم يجبر ابنه، ولم يكرهه على اختيار دينه الذي يدعو إليه، مع قناعته التامة بأن فيه النجاة وفي غيره الهلاك، فليس للأب إلا محاولة الإقناع بالحوار، واستخدام الوسائل والأساليب المتنوعة والمتعددة، من تحبيب وترغيب وترهيب أحيانا، لكن دون الإجبار والإكراه.

فالله أعطى حرية الاختيار لجميع خلقه ما داموا بالغين عاقلين: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.(الكهف:٢٩) وليتحمل بعد ذلك نتيجة اختياره. ومن جانب آخر هداية قرآنية مهمة وهي تقديم رابطة العقيدة على رابطة النسب.

وتبرز الآيات هداية قرآنية أخرى، وهي ضرورة الابتعاد عن العناد والكبر والإصرار على الخطأ، رغم رؤية الأهوال والمعجزات، والابتعاد عن الوهم، بأنه سينجو بذكائه واجتهاده رغم كفره وخطئه، ولذا يجب الحذر من ذلك ويجب الاستماع إلى نصيحة الكبير المجرب الحريص المحب.

المبحث الثاني: الهدايات القرآنية الواردة في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه

﴿ وَاذكُر فِي الكِتابِ إبراهيمَ إِنَّهُ كانَ صِدّيقًا نَبِيًّا إذ قالَ لِأَبيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعبُدُ ما لا يَسمَعُ وَلا يُبصِرُ وَلا يُغني عَنكَ شَيئًا يا أَبَتِ إِنّي قَد جاءَني مِنَ العِلمِ ما لَم يَأتِكَ فَاتَّبِعني أَهدِكَ صِراطًا سَوِيًّا يا أَبَتِ لا تَعبُدِ الشَّيطانَ إِنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلرَّحمنِ عَصِيًّا يا أَبَتِ إِنّي أَخافُ أَن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمنِ فَتَكونَ لِلشَّيطانِ وَلِيًّا قالَ أَراغِبٌ أَنتَ عَن آلِهَتي يا إِبراهيمُ لَئِن لَم تَنتَهِ لَأَرجُمَنَّكَ وَاهجُرني مَلِيًّا قالَ سَلامٌ عَلَيكَ سَأَستَغفِرُ لَكَ رَبّي إِنَّهُ كانَ بي حَفِيًّا وَأَعتَزِلُكُم وَما تَدعونَ مِن دونِ اللَّهِ وَأَدعو رَبّي عَسى أَلّا أَكونَ بِدُعاءِ رَبّي شَقِيًّا ﴾ مريم ٤١-٤٨

في هذا الحوار القرآني بين نبي كريم من أولي العزم من الرسل وأبيه الكافر، يمكن أن نستنتج هدايات قرآنية عظيمة جدا، تفيد الآباء والأبناء في كيفية التعامل مع بعضهم في حالات الاختلاف، سواء كان ذلك الاختلاف في الدين -وهو أعظمه- أو كان دون ذلك في أشياء أخرى: فأول الهدايات التي يمكن تسجيلها هنا هي مراعاة الأدب في خطاب الآباء، وهذا كله جزء من القيمة الكبرى وهي قيمة بر الوالدين، ويشعر القارئ بذلك من خلال تنوع الأساليب التي استعملها معه، كتكرار كلمة: "يا أبت" أربع مرات تلطفاً معه، وتعدد الأسباب التي ذكرها من أجل إقناعه بالإسلام، حتى ينجو ويكون من الفائزين، ثم قوله: "سلام عليك" واستغفاره له، بالرغم من جوابه الفظ، وتهديده له بالرجم، وطلبه الهجران. قال صاحب اللباب: (اعلمْ أنَّ إبراهيم - صلوات الله وسلامه عليه - رتّب هذا الكلام في غاية الحسن؛ لأنَّه ذكر أولاً ما يدلُّ على المنع من عبادة الأوثان، ثُمَّ أمره باتِّباعه في النَّظر، والاستدلال، وترك التقليد، ثُمَّ ذكر أن طاعة الشَّيطان غير جائزة في العُقُول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزَّاجر عن الإقدام على ما ينبغي، ثم إنَّه - صلوات الله عليه - أورد

هذا الكلام الحسن مقروناً باللُّطف والرِّفق؛ فإن قوله في مقدِّمة كل كلامه: «يا أبت» دليلٌ على شدَّة الحبِّ، والرغبة في صونه عن العقاب، وإرشاده إلى الصَّواب، وختم الكلام بقوله: ﴿يا أبت إني أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ﴾ وذلك يدلُّ على شدَّة تعلُّق فيه بمصالحِه، **وإنَّما فعل ذلك لوجوهٍ:**

الأول: لقضاءِ حقِّا لأبُوَّة على ما قال سبحانه وتعالى: ﴿وبالوالدين إِحْسَاناً﴾ [الإسراء: ٢٣] والإرشادُ إلى الدِّين من أعظم أنواع الإحسان، فإذا انضم إليه رعايةُ الأدب والرِّفق، كان نُوراً على نُور.

والثاني: أنَّ الهادي إلى الحقِّ لا بُدَّ وأن يكون رفيقاً لطيفاً لا يُورِدُ الكلام على سبيل العُنْفِ؛ لأنَّ إيرادهُ على سبيل العُنْفِ يصيرُ كالسَّبب في أعراض المستمع؛ فيكون ذلك في الحقيقةِ سَعْياً في الإغواء). [1]

وكذلك ينبغي في هذا الإطار تسجيل الهداية القرآنية التي ذكرتها في المبحث السابق وهي الدعوة إلى الله من زاوية أخرى، وهي بيان شدة الحرص على هداية أقرب الناس إليك قبل غيرهم، ولذلك ينبغي على الأسر المسلمة أن تكون عنايتها بادئ ذي بدء بأفرادها، فلا يعقل دعوة الغير إلى الخير، ونسيان أقرب الناس أو التقصير معهم.**ثم تتجلى هداية أخرى وهي:** الثبات والاستعلاء بالإيمان، وذلك حينما رفض الابن الخضوع لرغبة الأب المخالفة للدين والعقيدة، بالرغم من التهديد والهجر والعزلة التي فرضها الأب على ابنه، وهذه دعوة إلى الحفاظ على المبادئ السليمة في الأسرة المسلمة في حال اختلاف وجهات النظر الدينية وغيرها، فلا يجوز التساوق مع المخطئ وإقراره على خطئه، حتى لو كان المخالف هو الأب، مع ضرورة مراعاة الأدب والمصاحبة بالمعروف، كما فعل إبراهيم عليه السلام،

---

[1] اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ، (١٣\٧٦).

حيث اعتزل أباه لكنه ظل متذكرا فضله فاستغفر له.

ومن الهدايات المهمة التي تشير إليها الآيات كذلك، التسامح، حيث رفع إبراهيم شعار السلام مع أبيه، رافضا أن يقابله المعاملة بالمثل، فينبغي على كل فرد في الأسرة أن يسامح ويعفو ويصفح، ويتخذ ذلك ديدنا له، محتسبا الأجر من الله. قال ابن كثير: ومعنى قول إبراهيم لأبيه سلام عليك يعني أما أنا فلا ينالك مني مكروه ولا أذى وذلك لحرمة الأبوة[1].

كما تبرز هنا هداية أخرى جديرة بالذكر وهي الدعاء والالتجاء إلى الله، خاصة في الشدائد والأزمات، وأولى من يدعى له الأب صاحب الفضل، وأولى ما يدعى له به الهداية إلى الطريق المستقيم.

ويمكن للناظر أن يلمح تقارباً بين قصتي نوح وإبراهيم عليهما السلام في مجال الدعوة إلى الله، فنجد الأب(نوح) والابن (إبراهيم) كلاهما حريص على دعوة أقرب الناس إليه، وحريص على نجاته، ومحب له الخير، بينما نجد من الطرف الآخر (والد إبراهيم وابن نوح) عنادا وكبرا وإصرارا على الخطأ. إلا أن الاختلاف يكمن في أمرين: الأول: أن الداعي هناك كان الابن وهنا الأب، والكافر هناك الأب وهنا الابن،

وهذا لتقرير هداية مهمة، وهي أن النجاة والفوز أو الهلاك والخسارة لا يختص بالآباء دون الأبناء ولا بالأبناء دون الآباء، وإنما كل يجازى بعمله وفق حرية الاختيار التي أعطاها الله للعباد.

والثاني: أن لحظة الدعوة هنا في متسع من الوقت، وأما هناك ففي آخر لحظة من لحظات العمر، وفي هذا تقرير لهداية قيمة وهي الدعوة إلى استغلال الفرص، فمن كان في متسع من وقته فعليه اغتنامه قبل فوات الأوان.

---

[1] – تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٥\٢٠٨).

المبحث الثالث: الهدايات القرآنية الواردة في

حوار إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ الصافات: ١٠٢.

في هذه الآية رغم قلة كلماتها نجد غزارة في المعاني والقيم والهدايات، فتظهر صورة بر الوالدين في أعظم أحوالها، إذ يستعد الابن أن يضحي بنفسه ويفتدي أباه بروحه معنويا وحسيا، فليس الفداء فقط أن يحمي أباه من السهام أو الرصاص فتأتي في صدره بدلا منه، بل أعظم من ذلك أن يحميه من نار الآخرة؛ لأن في مخالفة أمر من أوامر الله الهلكة والخسران في الدنيا والآخرة، وهذه هداية قرآنية مزدوجة تربط بين المعنى الحسي والمادي لبر الوالدين.

وهداية أخرى عظيمة، وهي طاعة الله في كل أمر من أوامره حتى لو كان ظاهره شاقاً عسيراً، فأي طاعة أعظم من أن يطيع الله في أن يذبح الأب ابنه بنفسه، وأي مخالفة لهوى النفس تلك، وهذا درس عظيم للآباء أن لا تقودهم رحمتهم أو حنانهم الزائد، أن يقبلوا مخالفة أوامر الله من أجل عيون أبنائهم مهما كانت الظروف والأسباب، كمن يرضى أن يأكل الحرام من أجل أن يعيش بنوه براحة مزعومة.

ولننظر إلى هذه اللفتة الكبيرة المهمة هنا، إذ لما أطاع الأب ربه في أعظم مطلوب، وجد ابنه يطيعه في أعظم مرغوب، وفي هذا هداية للآباء الذين يشتكون من عقوق أبنائهم، فلو أطعتم ربكم حق الطاعة لوجدتم طاعة من أبنائكم وبراً.

كما تظهر هنا هداية الدعوة إلى الحوار والمشورة في أبهى صورة، فالأب يقول لابنه:" فانظر ماذا ترى" ، وهذا الحوار ليس طلبا من إبراهيم في أن يختار

ابنه ما يريد، فهو لا يملك إلا أن ينفذ أمر الله، ولكنه أراد أن يتثبت من حسن تربيته لابنه، وأن يشركه معه في الأجر، وأن يكون امتثاله لأمر الله عن قناعة ومحبة ورضا، وليس إجبارا ولا كرها، فإذا كان الحوار يذكر في مثل هذه الحالة، ويفيد في مثل هذا الموقف، فكيف بما هو أقل من ذلك وأدنى؛ وهذه الهداية تذكر هنا وتبرز ليجعل الآباء ذلك نصب أعينهم دوما. قال أبو حيان الأندلسي في بيان سبب ذلك الطلب وإن كان حتما من الله: " ليعلم ما عنده من تلقي هذا الامتحان العظيم، ويصبّره إن جزع ، ويوطن نفسه على ملاقاة هذا البلاء، وتسكن نفسه لما لا بد منه، إذ مفاجأة البلاء قبل الشعور به أصعب على النفس.[1] وقال ابن عاشور: " وذلك لأن الأمر لما تعلق بذات الغلام كان للغلام حظ في الامتثال، وكان عرض إبراهيم هذا على ابنه عرض اختيار لمقدار طواعيته بإجابة أمر الله في ذاته، لتحصل له بالرضى والامتثال مرتبة بذل نفسه في إرضاء الله ، وهو لا يرجو من ابنه إلا القبول؛ لأنه أعلم بصلاح ابنه"[2].

كما تتجلى قيمة الصبر في أعلى مظاهرها، صبر الأب على فراق ابنه، بل وذبحه له بنفسه، وصبر الابن على فراق الدنيا وهو بعدُ في مقتبل عمره وحياته، وصبره على فراق أبيه بيد أبيه نفسه، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذه القصة الشاقة العجيبة لما حصلت لم يكن في ذهن الوالد ولا الولد ما نعرفه نحن من أن الله سيفديه بذبح عظيم، بل كانا في استسلام وصبر كاملين من أجل الله عز وجل، وهنا هداية للآباء والأبناء معا أن يصبروا على ما يعترضهم في هذه الحياة من عوائق وعقبات، فكل صبر مهما عظم فهو أقل من صبر إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

---

[1] البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ٣٦٩/٧.

[2] التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٥١/٢٤.

وقبل أن ننهي هذا المبحث، لا بد من المقارنة بين تعامل إبراهيم وهو أب مع ابنه، وتعامل أبيه معه، وكذلك تعامله مع أبيه وهو ابن وتعامل ابنه معه، لنخرج بهداية مهمة وقيمة، وهي أن الابن عندما يكون مؤمنا يتعامل مع أبيه ببر وأدب واحترام وقيم وأخلاق حتى لو كان أباه كافراً، وهذا نجده في كلتا القصتين من إبراهيم الابن وإسماعيل المؤمنين البارين، لأن إيمانهما يحثهما على ذلك، بينما نجد بونا شاسعا بين تعامل الأب المؤمن مع ابنه، وتعامل الأب الكافر مع ابنه، حيث إن إيمان الأب يدفعه أن يكون بارا بأبنائه كما يحب أن يكونوا به بارين، بينما لا يحسب الكافر لذلك حسابا، بل ربما يكون فظاً غليظاً قاسياً، وهنا تتجلى قيمة الإيمان.

المبحث الرابع: الهدايات القرآنية الواردة في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه- رضي الله عنهن -

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب: ٢٨-٢٩.

ذكر الباحث هذا الموقف القرآني من حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أزواجه، رغم عدم ذكر القرآن لجواب أمهات المؤمنين نصا؛ لأن جوابهن عرف ضمنا من سيرتهن، ولأنه ورد في صحيح السنة المفسرة للقرآن، فقد روى البخاري ومسلم – واللفظ له- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم ، قال : فأذن لأبي بكر فدخل ، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا . قال : – فقال : والله لأقولن شيئا أضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ، كلاهما يقول : تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده ! فقلن: والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً أبداً ليس عنده. ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية: يا أيها النبي قل لأزواجك – حتى بلغ – للمحسنات منكن أجراً عظيماً.

قال: فبدأ بعائشة فقال : يا عائشة ، إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت : وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية .

قالت : أفيك يا رسول الله أستشير أبوي ! بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال : لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها ، إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلماً ميسراً". [1] فهذا الموقف الحواري القرآني يظهر قيمة عظيمة ينبغي أن تزرع في نفس كل فرد من أفراد الأسرة المسلمة، وخاصة الزوجة لما لها من مكانة ومنزلة، ولما ينتظرها من مسؤولية الأمومة وتربية الأولاد، وهي استحضار أن ما عند الله خير وأبقى، واستشعار أن الآخرة خير من الأولى، وتفضيل الآخرة الباقية على الدنيا الزائلة الفانية،

وهذه هداية قرآنية مهمة لصلاح حال الأسرة، وكذلك يجب على الزوجة الصالحة إن خيّرت بلسان الحال أو المقال بين الآخرة والدنيا، أن تختار الآخرة العليّة على الدنيا الدنيّة؛ اقتداء بأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وهذه قيمة إيمانية وهداية قرآنية عظيمة، ويجب أن يتمثل الزوج هذه الهدايات أولا كونه القدوة وصاحب الولاية والقوامة والمسؤولية عن أفراد البيت جميعاً.

وتبرز الآيات كذلك قيمة الصبر، وهو هنا صبر خاص، وهو صبر الزوجة على زوجها، إن كان صاحب خلق ودين ولم يكن عنده من النفقة والمال ما يستطيع أن يرفهها ويمتعها إلا ما كان من الحاجات الأساسية فالتزم بها، فعندها ينبغي أن تصبر عليه وعلى الحياة معه مفضلة الآخرة وما معه من خلق

---

[1] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها﴾، رقم الحديث ٤٧٨٥، وصحيح مسلم، كِتَاب الطَّلَاقِ، بَاب بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ ... رقم الحديث: ٢٧١١.

ودين على الدنيا وما فيها من متاع، وهذه هداية للزوجات في غاية الأهمية، فكثير من الزوجات في واقعنا المعاصر تكثر الشكوى والتذمر من سوء حال زوجها وفقره، ولا تصبر على شظف العيش معه، رغم سعيه الحثيث على الرزق، ورغم أخلاقه الحسنة معها والتزامه بدينه، فربما طالبته بما لا يستطيع فحمله ذلك على أخذ الحرام والتعامل بالربا، ومن الأمثلة على ذلك من تطلب من زوجها وتلح عليه ببيت مستقل فيقترض من البنوك الربوية ليحقق لها ذلك، فتدفعه إلى الحرام دفعا.

وفي هذه الحالة تبين هذه الهداية أن ملك بيت صغير أو حتى بالأجرة خير من بيت كبير مستقل بني بالحرام، فيجب على الزوجة أن تصبر وتفضل الآخرة على الدنيا ولا تدفعه إلى ذلك الفعل الأثيم.

وكذلك، تبين الهداية أنه يجب على الزوج أن يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم فيرفض الحرام ويفضل الآخرة على الدنيا ولا يستسلم للحرام مهما كان الثمن، وليحاورها ويقنعها بالحجة مع اللين والترفق. وإن قراءة مثل هذه الآية عليها، يجعلها تقف عند حدود الله إن كانت صالحة.

يقول السعدي: ﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ أي:

هذه الأشياء مرادكن، وغاية مقصودكن، وإذا حصل لَكُنَّ الله ورسوله والجنة، لم تبالين بسعة الدنيا وضيقها، ويسرها وعسرها، وقنعتن من رسول الله بما تيسر، ولم تطلبن منه ما يشق عليه، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ رتب الأجر على وصفهن بالإحسان، لأنه السبب الموجب لذلك، لا لكونهن زوجات للرسول فإن مجرد ذلك، لا يكفي، بل لا يفيد شيئًا، مع عدم الإحسان، فخيَّرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فاخترن الله ورسوله، والدار الآخرة، كلهن، ولم يتخلف منهن واحدة، رضي الله عنهن[1].

[1] تفسير السعدي (٦٦٣).

المبحث الخامس: الهدايات القرآنية الواردة في حوار ابنة الرجل الصالح مع أبيها

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ القصص: ٢٦-٢٨.

في هذه الآيات نجد الحوار الأسري بين أنثى وهي هنا البنت، وبين أبيها الرجل، ونجده قصيرا جدا، لا يعدو كلمات ؛

لكنه يظهر هدايات قرآنية في غاية الأهمية:

الأولى: امتثال الأب لرأي ابنته، عندما طلبت منه أن يبقي موسى للعمل عندهم، وهذا ما جعلني أعده حوارا؛ فبالرغم من أن الآيات لم تذكر جواب الأب، لكنه ظهر في امتثاله لرأيها، وطلبه من موسى البقاء عندهم مقابل الأمن والسكن والزواج. فلا يضير الأب أن يأخذ برأي أحد من أهله ولو كان ابنه أو ابنته، لا كما نرى في هذه الأيام من تعنت بعض الآباء وتعصبهم لرأيهم، حتى لو لم يكن صوابا، لمجرد أن المقترح له صغير السن، وهذا سلوك يجب أن يغير ويعدل وفق منهج القرآن وهديه وقيمه.

والهداية القرآنية الثانية: -وهي أشد من سابقتها- وهي قيمة الحرية في اختيار الزوج، وإبداء الرأي في ذلك.

فها هنا نجد البنت تبدي رغبتها في الزواج من موسى لما رأت من أخلاقه، والأب الصالح لم يجد حرجاً في ذلك، وهذه قيمة قلما نجد من يطبقها في واقعنا، فبعض الآباء لا يستشيرون بناتهم في تزويجهن عندما يأتي لهن الخطاب،

وكثير من البنات يجدن حرجاً في أن يعبرن عن مشاعرهن ورغبتهن في الزواج لآبائهن، وبعض الآباء يبقى منتظرا الخطاب لبناته حتى يدخلن في سن العنوسة؛ لأنه لا يرى إلا أن تكون البنت مطلوبة دائما. وهدايات القرآن تبين أن ذلك لا يتفق مع منهجه وهديه،

فلا حرج أن تبدي البنت رغبتها في الزواج من شاب معين، على أن يكون صاحب خلق ودين، ولا يكون بينهما قبل الزواج علاقة غير شرعية، هذا ضابط مهم، فهذه ليست دعوة لإقامة علاقات بين الشباب والفتيات قبل الزواج، وإنما بيان قيمة حرية المرأة في الاختيار ممن سمعته حسنة طيبة كما ورد في الآيات. وإذا كان يحق للفتاة ذلك، فكيف يجيز بعض الآباء لأنفسهم إجبار بناتهم على الزواج ممن لا يرغبن به، ولا يجدنه كفؤا لهن.

بل إنه ينبغي أن يبحث الأب عن زوج صالح لابنته، كما فعل عمر رضي الله عنه مع ابنته حفصة[1]، حيث سعى في تزويجها لأبي بكر أو عثمان –رضي الله

(١)روى البخاري في صحيحه : حدثنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني سالم ابن عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يُحَدِّثُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم قد شهد بدرا، توفي بالمدينة، قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قال: سأنظر في أمري، فلبث ليالي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فكنت عليه أوجد مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إليك؟ قلت: نعم، قال: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ تركها لقبلتها. كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، حديث رقم ٤٨٣٠، (٥\١٩٦٨).

عنهما- ثم صارت بعدُ زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندنا مثل مشهور لكنه لا يطبق للأسف: **اخطب لابنتك قبل أن تخطب لابنك.**

وهداية قرآنية ثالثة مهمة: وهي أنه ينبغي أن تبنى العلاقات في الأسرة الواحدة على الصراحة والثقة والأمانة حتى يستطيع كل فرد منها أن يعبر عن مراده وفكره بحرية وصراحة دون خوف ولا وجل،

فهذه الفتاة عبرت عن رأيها في رغبتها التخفيف من عبء العمل ومزاحمة الرجال فيه، ورغبتها في الزواج من القوي الأمين، والأب الحكيم الذي ربى بناته على المصارحة والمكاشفة في كل الأمور تقبل الفكرة ولم يجد في ذلك حرجا، والمصارحة في البيت أولى من مصارحة الأصدقاء بعضهم دون الأهل كما يحصل كثيرا في الواقع.

الخاتمة:

فيها النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج:

١- امتلأ القرآن الكريم بالحوارات الأسرية التي تكون في الأسرة الواحدة ما بين الأبناء والآباء، وهذا يدل على اهتمام القرآن بالحوار كمبدأ إنساني.

٢- حفلت الحوارات الأسرية القرآنية بالهدايات القرآنية التي تفيد جميع أفراد الأسرة في دنياهم وآخرتهم.

٣- قدم القرآن نماذج إيجابية من أجل الاقتداء بها في التطبيق السليم للحوار والتخلق بالقيم بجميع أنواعها، وقدم نماذج أخرى سلبية لم تلتزم بالحوار ولا بالقيم الإيجابية من أجل التنفير والتحذير منها.

٤- يجب على كل فرد من أفراد الأسرة-وخاصة الآباء- تمثّل الهدايات القرآنية في أنفسهم والتخلق بها وتنميتها؛ لخلق أسرة وجيل مؤمن بالحوار قناعة وممارسة، وملتزم بهدي القرآن وهداياته.

٥- عالج القرآن موضوع الحوار الأسري والقيم منذ بدء الخليقة إلى زمن رسول الله لتقرير حقيقة أن الإنسان هو الإنسان والأسرة هي الأسرة، فنأخذ منها الدروس والعبر إلى واقعنا المعاصر، فلا نجدها تتخلف عما ذكره القرآن الكريم.

ثانياً: التوصيات:

١-ينبغي على كل فرد في الأسرة المسلمة أن يتعمق بدراسة القصص القرآني، ليستلهم منها القيم والأخلاق والهدايات القرآنية التي ستفيده في حياته الأسرية.

٢-يجب على الدعاة والأئمة والخطباء أن يركزوا في دروسهم ومواعظهم وخطبهم على تثبيت مبدأ الحوار الأسري، وغرس القيم والأخلاق من خلال هدايات القرآن في نفوس أبناء الأسر المسلمة.

المراجع والمصادر:

١. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، (١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١ م).

٣. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، دار سحنون، تونس.

٤. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة، ٢٠٠٢م–١٤٢٢هـ.

٥. تقريب الهدايات القرآنية لمحمد بن علي بن جميل المطري، شبكة الألوكة، مستل من رسالته في الدكتوراه بعنوان: الهدايات القرآنية في سورة الأعراف من الآية (١٧١) إلى آخر السورة وفي سورة الأنفال من الآية (١—٤٠) دراسة تطبيقية)، جامعة المدينة العالمية بماليزيا.

٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

٧. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، مصر.

٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين — بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

٩. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، وبيروت.

١٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

١١. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

١٢. لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، ٢٠٠٣م.

١٣. الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لطه عابدين وياسين قاري وفخر الدين الزبير (١\٤٤).

١٤. الهدايات القرآنية أنموذج تطبيقي على الآيتين (١٩٠–١٩١) من سورة آل عمران، نجيب محمد محب الدرب. مجلة أبحاث، العدد ٢٢، (يونيو ٢٠٢١)، كلية التربية، جامعة الحديدة.